قصة الأدب في المغرب

ساير موكب الأدب في المغرب مواكبه في الأقطار العربية الأخرى من لدن الفتح الإسلامي إلى الآن ، ولئن أغفل كثير من مؤرخي الأدب العربي تسجيل هذه الحقيقة فانهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عن المشاركة الفعالة التي قام بها أفراد عديدون من المغرب في بناء صرح المدنية العربية ، بما لها من مقومات فكرية ، وتجارب علمية ؛ وحسبنا أن نذكر أن الجغرافيّ العربي الوحيد ، الذي ترك لنا أثراً علمياً في الجغرافية لم يُكتب مثله بعدَ « بطليوس » اليوناني ، كان عالماً من المغرب ، وهو الإدريسي الشهير ؛ فاذا أضفنا إليه الرحالة العالمي « ابن بطّوطة » كان أهم ما يعتز به التراث العربي في هذا الصدد ، منشأه من المغرب ؛ وفي علوم الطب والكيمياء ، والطبيعة ، والرياضيات ، حسبنا أن نذكر اسم أبي الحسن المراكشي الذي نجد اسمه — مع الأسف — معروفاً عند الغربيين أكثر من أبناء جلدته العرب .

وكذلك ابن البناء العددي ، الذي له فى الحساب والجبر والفلك ، مؤلفات لبثت عهوداً طويلة ، مما يُعتمد عليه في دراسة هذه العلوم بأوربة قبل المغرب ، والبلاد العربية كافة . ومثلهما ابن الياسمين ، والجادري ، ويوسف ابن شمعون ، واللجائي ، والجزنائي ، والبعقيلي وأبو القاسم الوزير ، والفول الفشتالي وكثيرون غيرهم من الأطباء والنباتيين والمهندسين والفلكيين ..

أما في علوم الفقه والحديث وغيرهما ، من أصول الثقافة الاسلامية ، فان أحداً من أصحاب المؤلفات في طبقات علماء الاسلام ، لم يمكنه أن ينسى جهود أمثال دراس بن اسماعيل ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي محمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأصيلي ، والقاضي عياض ، وابن الحاج العبدري ، وابن رشيد الفهري ، وأبي الحسن الصغير ، وابن الشاط ، وزروق ، وابن غازي ، وغيرهم كثير .

وفي علوم العربية نبغ أبو موسى الجزولي صاحب الكراسة ذات الشهرة الطائرة في علوم النحو ، وابن معطي صاحب أول ألفية في النحو نسج ابن مالك ألفيته على منوالها ، وابن آجروم صاحب المقدمة التي ما لبثت حتى الآن من كتب الدراسة الأولية لعلم النحو في العالم العربي والاسلامي ، والذي أعطى اسمه للقواعد النحوية ذاتها ، فكثيراً ما قيل الآجرومية وعُني بها النحو .

وفي متن اللغة العربية يكفي ذكر اسم مالك بن المرحّل ، وابن الطيب اللغوي الذي صار اسمه مقروناً بالفيروزبادي صاحب القاموس ، والزبيدي شارحه ، ونظائرهما من أساطين المؤلفين في متن اللغة .

أما في التاريخ فقد أعطى المغرب أسماء عديدة برزت من بين المؤلفين في التاريخ العام فضلًا عن تاريخ المغرب ، وناهيك بالمراكشي (صاحب المعجب) ، وابن عذارى (صاحب البيان المُغرب) وابن أبي زرع (صاحب القرطاس) ، واكنسوس ، والزّيّاني وغيرهم .

وذكرنا لهذه الأسماء اللامعة في غير الثقافة الأدبيـــة خاصة ، إنما هو إشارة إلى تلك المساهمة التي ألمعنا إليها من أبناء المغرب في الحياة الفكرية العربية عامة ، على أن الأدب بمدلوله العام ، يتناول جميع فروع المعرفة وسائر ضروب التفكير ، فاذا كان المغرب يتوفر على رجال من هذا الطراز في العلم العام ، فما بالك بمن لم يبلغ مرتبتهم ولم تجاوز شهرتهم حدود بلادهم .

أما في الكتابة والشعر والفنون الأدبية بوجه خاص ، فقد نبغ من أبناء المغرب في ذلك ، الشاعر ابن حَبُّوس ، والكاتب أبو جعفر بن عطية ، وأبو العباس الجراوي صاحب كتاب « الحماسة المغربية » الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتحدث عنه ابن خلكان ، في « وفيات الأعيان » ويقول : انه عند المغاربة يقوم مقام « حماسة أبي تمام » .

ونبغ من الشعراء الأمراء ، أبو الربيع سليمان المُوَحّدي ، له ديوان شعر مخطوط يوجد في مكتبة « الأسكوريال » وفي غيرها من المكتبات المغربية ، كذلك نبغ من الشعراء ، ابن عبدون المكناسي ، وميمون الخطّابي ، ومالك بن المرحّل ، الذي يعد أكبر شعراء المغرب ، وله مؤلفات أدبية كثيرة ، وأبو العباس العَزَفي ، وأبو فارس الطزوزي ، والجزنائي ، وابن جابر المكناسي ، وعبد العزيز الفشتالي ، الكاتب الشاعر المؤرخ ، وابن زاكور ومنتخب ديوانه مطبوع ، واليوسي وديوانه مطبوع كذلك ، وابن الطَيّب العلمي صاحب كتاب « الأنيس المطرب » على نسق « قلائد العقيان » ، وابن الونان صاحب قصيدة « الشمقمية » في الأدب وهي مطبوعة وغيرهم .

هذا نبأ الحركة الأدبية في المغرب عبر التاريخ ، وإذا أريد استيفاء الخبر عن ذلك ، فليرجع إلى كتاب (النبوغ المغربي في الأدب العربي) الذي أرخ للحياة الفكرية والحضارة المغربية ، من لدن الفتح العربي ، إلى بداية القرن الحالي .

وأما في الفترة الراهنة ، وهي ما نعبر عنه بالعصر الحديث ، فان الأدب أخذ يتطور شكلا وموضوعاً ، أسوة بما حدث في الشرق العربي ، فلم يعد قاصراً على القصيدة الشعرية ، والرسالة النثرية ، أو المقامة والخطبة ، وما إلى ذلك ، بل استُحدثت فيه أشكال عديدة ، وأبواب جديدة ، من أهمها في الشعر ، المسرحية ، وفي النثر ، المقالة ، والأقصوصة ، والقصة ، كما أن الموضوعات التي كان يتناولها الشاعر والناثر لم تبق هي موضوعات المدح ، والغزل ، ومـــا إلى ذلك في الشعر ، والوصف والمطارحات الأدبية ونحوها في النثر ، وإنما اتسع المجال أمام الشاعر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والكاتب ، وأصبح الأديب صاحب رسالة سامية ، ومكانة مرموقة في المجتمع بصفته أحد قادة الفكر ، ورائداً من رواد النهضة في العالم العربي . وهكذا لم يعد الأدب فناً مسخراً لخدمة الرؤساء والملوك ، ولا تزجية الوقت عند من لم ينزل بأدبه لمستوى الشعراء المادحين ، والكتاب المتكسبين ، بل صار دعوة ومذهباً ، وتعبيراً صادقاً عن الحياة والواقع الاجتماعي .

ومن الحق القول بأن تطور مفهوم الأدب عندنا إنما حصل بتأثر النهضة الأدبية التي قامت في الشرق العربي ، في بداية هذا القرن ، إذ أنه قبل أن يتصل أبناء المغرب ، بالثقافة الغربية ، ويطلعوا عن طريق المدرسة الفرنسية على المذاهب الأدبية الحديثة ، كانت الطليعة الأولى من أدباء المغرب ، تتصل عن طريق الصحافة العربية ، والمطبوعات الصادرة في البلاد العربية ، وخاصة منها مصر ، بالإنتاج الأدبي الجديد ، لأعلام النهضة في العالم العربي ، وتتأثر به وتحاول النسج على منواله ، وكان من هؤلاء من له آثار طيبة في هذا الميدان ، كالشاعر المرحوم محمد السليماني ، والأديب الكبير احمد بن المواز ، والكاتب المؤرخ محمد برجندار ، وسواهم من طلائع النهضة الأدبية المتوفين ، ومن الأحياء أحمد النميش ، ومحمد الجزولي ، ومحمد كنون ، ومحمد بن اليمني الناصري ، وهو أخصبهم قريحة وأكثرهم إنتاجاً .

وكما كان الحال في الشرق العربي ، أول النهضة الحديثة ، فان الشعر السياسي الوطني هو أول ما ظهر من ألوان التجديد في موضوعات الأدب ، وذلك أن طائفة من شباب الجيل الناشيء ، في عهد الحماية ، لما رأوا البلاد ترزح تحت نير الحكم الأجنبي ، أخذتهم العزة الوطنية ، والحمية العربية فصاروا يتغنون بشعر كله ثورة على الواقع الأليم ، ويدعون إلى مقاومة التدخل الأجنبي ، وتذكير الشعب بمجده وتاريخه العظيمين ، مما أدى إلى إذكاء الوعي القومي في نفوس الجماهير الشعبية ، وشنها غارة شعواء على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاستعمار وأعوانه حتى تخلصت البلاد من براثنه ، وانتفضت انتفاضتها الخالدة ، التي أعادت إلى المغرب حريته واستقلاله .

ونذكر في طليعة هذه الطائفة من الشعراء الوطنيين : علال الفاسي ، والمختار السوسي ، والمكي الناصري ، والشهيد محمد القري ، ثم تلتها طائفة أخرى ، قالت الشعر الوطني والاجتماعي ، ولم تقصر في ميادين الشعر الأخرى ، ولا سيما الشعر العاطفي ، وهذه أمثال عبد الرحمن حجي ، وعبد القادر حسن ، الذي كان أول شاعر مغربي حديث ، طبع له ديوان ، ومحمد مكوار ، الذي طبع له هو الآخر ديوان شعر ، وعبد المالك البلغيثي ، وله أيضاً ديوان مطبوع ، وعبد القادر المقدم ، وله كذلك ديوان مطبوع ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم بن ثابت ، ومحمد الحلوي ، وعبد الغني سكيرج ، وإدريس الجاي ، وعبد الوهاب بن منصور ، وأبو بكر اللمتوني ، وناصر الكتاني ، وحماد العراقي ، وأحمد البقالي ، وعبد السلام العلوي ، وإبراهيم الالغي ، وعبد الرحمن الدكالي ، ومحمد الصقلي ، وإدريس العلمي ، وغيرهم ممن لا أستطيع احصاءهم ها هنا لضيق المجال ، وإن كان الأمر الذي لا شك فيه ، أن منتخبات من أشعارهم تؤلف مجموعة ضخمة من الشعر الحديث في المغرب الجديد . على أن النثر في هذا العهد ، كان أعظم مادة من الشعر ، والإنتاج فيه أوسع بكثير من الإنتاج الشعري . وقد رافق النثر وتطوره ظهور الصحافة وتطورها ، فظهرت في الأول المقالة الاجتماعية ، ثم السياسية ، وبتأسيس الصحافة الأدبية ، ظهرت البحوث التاريخية واللغوية ، والأقصوصة والقصة ، ثم ظهرت المؤلفات في الموضوعات المختلفة . ومن المجلات التي كان لها انتشار وتأثير في توجيه الحياة الفكرية : مجلة « السلام » ، و « رسالة المغرب » ، و « الثقافة المغربية » ، و « المغرب الجديد » ، و « لسان الدين » ، و « الارشاد الديني » ، و « الأنوار » ، و « الأنيس » ، و « المعرفة » ، وأخيراً مجلة « دعوة الحق » و « رسالة الأديب » .

ومن كتاب هذه المجلات السابقين واللاحقين الأساتذة : محمد بن الحسن الوزاني ، ومحمد داود ، ومحمد بنونة ، ومحمد الطنجي ، وعبد الخالق الطريس ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمكي الناصري ، وعلال الفاسي ، وعبد العزيز بن إدريس ، وسعيد حجّي ، وإدريس الكتاني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ؛ وعبد الله إبراهيم ، ومحمد القباج ، ومحمد أبا حنيني ، ومحمد المنوني ، والتهامي الوزاني ، وعبد الوهاب بن منصور ، وإبراهيم الكتاني ، وعبد الهادي التازي ، ومحمد التطواني ، ومحمد عزيمان ، ومحمد العربي الخطابي ، والمهدي بنونة ، ومحمد الحبابي ، وعلال الجامعي ، وحسن السائح ، ومحمد الصباغ ، وإدريس بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الهادي بو طالب ، وعبد القادر زمامة ، ومحمد بن الحبيب ، وقاسم الزهيري ، وعبد القادر الصحراوي ، ومحمد بن تاويت ، وأحمد زياد ، وعبد اللطيف الخطيب ، وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن ، وقد امتاز على الخصوص بكتابة المقالة السياسية : عبد الخالق الطريس ، ومحمد الوزاني ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وقاسم الزهيري ، وعبد الهادي بو طالب ؛ وبكتابة الأبحاث الأدبية والتاريخية : محمد بن تاويت ، ومحمد الفاسي ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الوهاب ابن منصور ، ومحمد القباج ، ومحمد المثوني ، ومحمد التطواني ، وعبد القادر زمامة ؛ وبكتابة المقالة الاجتماعية : محمد بنونة ، والتهامي الوزاني ، وإدريس الكتاني ، وعبد الكبير الفاسي ؛ وبكتابة القصة : عبد المجيد بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الرحمن الفامي ؛ وبالكتابة على الطريقة الرمزية : محمد الصباغ ؛ وبالترجمة عن الأدب الاسباني على الخصوص : عبد اللطيف الخطيب ، وامتاز من هؤلاء جميعاً بكثرة الإنتاج والتأليف ، عبد العزيز بن عبد الله ، وعلال الفاسي ، ومحمد داود ، ومحمد المنوني ، ومحمد المختار السوسي ، والتهامي الوزاني ، وعبد المجيد بن جلون ، ومحمد الصباغ ، وعبد الكريم غلاب .

ولم يظهر حتى الآن أديب ذو نزعة خاصة ، ولا أدب ينتمي لمذهب من المذاهب الأدبية المعروفة .

عبد الله كنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net